دور المرجعية الدينية في العراق في قيادة حركات الجهاد بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨

م.د. رجاء زامل كاظم الموسوي

جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الإنسانية – ابن رشد

قسم التاريخ

دور المرجعية الدينية في العراق في قيادة حركات الجهاد بين عامي ١٩١٤و١٩١٨

م.د. رجاء زامل كاظم الموسوي

المقدمة

خططت بريطانيا ومنذ زمن بعيد لاحتلال العراق او اجزائه الجنوبية على اقل تقدير، ونفذت هذا الهدف بانزال قواتها العسكرية في الفاو في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ ، ولم تبدِ الدول الكبرى استغرابها لهذا العمل ، وذلك لتوقعها حدوث ذلك في حساباتها السياسية والاقتصادية وصراعاتها ومناطق نفوذها في العالم لاسيما في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر. اذ كان لبريطانيا وجود في منطقة الخليج العربي منذ زمن بعيد ، وكانت لها مصالح اقتصادية ، وعلاقات سياسية بهذه المنطقة امتدت الى العراق وايران .

وما أن وطأت اقدام القوات البريطانية ارض الفاو ، حتى انطلقت المرجعية الدينية لقيادة الدفاع عن البلاد ، داعية العشائر العراقية للوقوف صفا واحدا لمواجهة المحتل البريطاني . ولم يقتصر الدور القيادي للمرجعية على اصدار فتاوى الجهاد ، وانما المشاركة الفاعلة في جبهات القتال ، حيث قاد علماء الدين جموع المتطوعين ، هادفين من وراء ذلك تحقيق استقلال العراق من السيطرة البريطانية.

سنحاول في هذا البحث ان نسلط الضوء على دور المرجعية والعشائر العراقية في الجهاد في مبحثين . كرس الأول والمعنون (حركة الجهاد الأولى) ، للتعرف على دور المرجعية والعشائر من اواخر تشرين الثاني ١٩١٤ حتى اوائل تشرين الأول ١٩١٥ .

أما المبحث الاخر فجاء بعنوان (حركة الجهاد الثانية) للكشف عن دور المرجعية والعشائر من اواخر تشرين الأول ١٩١٥ حتى اواخر عام ١٩١٨ .

أولاً : حركة الجهاد الأولى

على الرغم من نشوب الحرب العالمية الأولى في اوائل آب عام ١٩١٤ ، الا ان الدولة العثمانية لم تتخذ اجراءات مسبقة لمواجهة المخططات البريطانية لحماية مصالحها في العراق ، حيث اهملت امر الدفاع عن العراق ، فلم تضع اية خطة عسكرية مدروسة للدفاع عنه ، ولم تشرع ببناء اية تحصينات دفاعية ، او تقوم بمناورات عسكرية او حتى تزويد المقاتلين العراقيين. بل على العكس اعتمدت عليهم بالاسلحة والمؤنة اللازمة ، وكانت تفتقر الى وجود خرائط جغرافية خاصة بالعراق(١).

وبسبب ذلك الاهمال اصبح العراقيون انفسهم في مواجهة الجيش البريطاني بالقرب من البصرة ، التي كانت تعد مركزا مهما لامن العراق واقتصاده وثرواته الطبيعية والبشرية . لذلك ارسل وجهاء البصرة في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ برقيات الى علماء الدين في النجف وكربلاء والكاظمية ، يستنجدون بهم من البريطانيين الذين احاطوا بثغر البصرة ، طالبت منهم حث العشائر بضرورة التصدي للبريطانيين خوفا على بقية مدن العراق ان يحل بها ماحل بالبصرة .

وبموجب ذلك تليت هذه البرقيات على الناس في المساجد من قبل الخطباء ، ولقيت اهتماما واسعا بينهم اذ اخذ الخطباء يثيرون مشاعرهم بالخطب الحماسية مؤكدين فيها ان البريطانيين اذا احتلوا العراق فسيهدمون مساجده وعتباته المقدسة ، ويحرقون القران الكريم، وينتهكون حرمات النساء ، ويذبحون الاطفال والشيوخ(٢).

شرع علماء الدين باصدار نداءات بوجوب الجهاد في البلاد . في ذات الوقت ارسلت السلطات العثمانية من مركزها في بغداد وفوداً الى المدن العراقية المهمة في مقدمتها النجف الاشرف ، لتحث علماء الدين على اصدار فتاوى الجهاد. لعل اهم تلك الوفود الذي ارسل الى النجف ، الذي ضم شخصيات اجتماعية ودينية ورسمية ، حيث استقبل بحفاوة كبيرة ، والتقى عددا من علماء الدين ، وعلى اثر ذلك عقد اجتماع كبير في جامع الهندي حضره العديد من علماء الدين والوجهاء ورؤساء العشائر ، وخطب

كل من السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري، مؤكدين وجوب مشاركة الحكومة في دفع البريطانيين عن بلاد الاسلام[٣].

ومن جانب اخر ذهب الشيخ حميد الكليدار ، وهو احد اعضاء الوفد ، الى الكوفة لمقابلة المرجع الديني السيد كاظم اليزدي ومحادثته في امر الجهاد . فوافق اليزدي على ارسال ولده السيد محمد لينوب عنه في استنهاض العشائر للجهاد[٤].

غادر النجف عدد من علماء الدين مع مؤيديهم متوجهين نحو جبهة القتال، وبدءوا ينزلون في المدن والعشائر الواقعة في طريقهم تشجيعهم على الجهاد . وكان السيد عبد الرزاق الحلو أول العلماء الذين وصلوا الى السماوة ، كان معه تسعة من اتباعه . غير انه بعد يومين من وصوله وردته برقية من الوالي (جاويد باشا) يطلب فيها الاسراع بالمجيء الى البصرة ، فاستجاب السيد لدعوته وامر اتباعه بالرحيل فورا نحو البصرة وسرعان ما وصلت الى السماوة بعد رحيله بايام قوافل المجاهدين من مناطق الشامية وابو صخير والنجف[٥].

كان السيد محمد سعيد الحبوبي اشد علماء الدين حماسا للجهاد . فخرج في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤ من النجف في موكب يصحبه عدد من مؤيديه ، وفي منتصف كانون الثاني ١٩١٥ وصل الى الناصرية ، وفي طريقه الى الناصرية نزل في مدن وعشائر كثيرة . كما اخذ في الناصرية يتجول بين العشائر المجاورة، ويرسل مؤيديه من الطلبة كباقر الشبيبي وعلي الشرقي الى العشائر البعيدة ، لحثهم على الانضمام الى حركة الجهاد . كما ارسل الشيخ عبد الحسين مطر الى خيون العبيد رئيس عشيرة عبودة الذي كان في الشطرة ، يطلب منه القدوم الى الناصرية ، فتوجه خيون مع عدد من اصحابه بصحبة الشيخ عبد الحسين الى الناصرية واعلن انه سينضم الى حركة الجهاد.

قاتلت عشائر المنتفق والسماوة عندما حاول البريطانيون التقدم من الناصرية لاحتلالها، إذ ألف القائد العثماني نور الدين بك جبهة من عشائر المنتفق والسماوة واستعان بها في صد تقدم البريطانيين، في حين قاتلت عشائر المنتفق في الشطرة

لوحدها بقيادة الشيخ خيون العبيد في معركتين هما معركة (باهيرة) و(البطنجة)، عندما حاول البريطانيون احتلال الغراف وفك حصارقواتهم في الكوت.[٦] واشتبكت عشائر الشطرة والبريطانيين بالسلاح الأبيض وكان عدد المقاتلين من أفراد العشائر ينوف عن السبعة عشر ألف مقاتل. [٧]

وعلى أثر ذلك اضطرت القوات البريطانية إلى الانسحاب إلى مدينة الناصرية وحالت دون تقدمها لفك حصار القوات الرئيسة في الكوت. واشتهر أيضاً في معركة بطنجة شيخ عشيرة البو صالح (بدر الرميض) واهدت له الحكومة التركية سيفاً مرصعاً وعدة أوسمة. واعترف البريطانيون بخسارتهم في هذه المعركة وفرضوا على بعض العشائر التي قاتلتهم غرامات فيما بعد ومن هذه العشائر عشيرة الأزيرقا. [٨]

غادر في ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٤ وفد النجف الى جبهة القتال ممثلين عن السيد كاظم اليزدي ، باتجاه بغداد ، وكان على راسهم ابنه السيد محمد وفي مقدمتهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والسيد اسماعيل اليزدي ، ووصلوا بغداد في ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٤ ، وكان يضم اكثر من ثلاثمائة من المتطوعين ، وغادروها الى جبهات القتال الشرقية في ٢٣ كانون ١٩١٤ .

وخلال وجود السيد محمد اليزدي في بغداد بعث برسالة الى احد رؤساء قبائل العمارة، ورسائل اخرى الى اشخاص اخرين ، يطلب فيها اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة البريطانيين او التفاوض معهم لانهاء احتلالهم للبلاد . وهو اتجاه في العمل الوطني وتعامل السيد محمد بموجبه مع قيادات عشائرية ووطنية اخرى كالسيد كاطع العوادي[٩].

ومن جانب اخر بعث السيد محمد من بغداد برقية الى والده في النجف ، يطلعه فيها بانه سيتوجه الى جبهات القتال ، ويطلب منه حث الناس على الالتحاق به ، وتسلم من والده برقية جوابية يحثه فيها على تنفيذ ما عزم عليه . وكان السيد كاظم اليزدي قد وضع لولده منهجا لخط سيره الى جبهة القتال ، عين له بموجبه المناطق التي ينزل فيها للوعظ واستنهاض سكانها من ابناء العشائر للالتحاق بجبهات القتال .

وكان السيد محمد قد اخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة حتى قبل ان يغادر النجف ، فبعث بعد احتلال الفاو بثلاثة ايام ببرقية الى الشيخ خزعل يطلب منه التهيء للتصدي للقوات البريطانية والدفاع عن مدينة البصرة . كما مكث السيد محمد اثناء مغادرته الى بغداد في العمارة لمدة من الزمن كان يتبادل فيها الرسائل باستمرار مع والده الذي كان يحثه على لم شمل العشائر وتوحيد كلمتها وتهيئتها لقتال المحتل.

كان لفتاوى الجهاد التي اصدرها علماء الدين الدور الكبير ومن بين الاسباب المهمة التي دفعت برؤساء العشائر وشيوخها للتوجه نحو جبهات القتال.

كان للمرجع الديني السيد كاظم اليزدي دور كبير في هذا المجال ، ففضلا عن حثه على المشاركة الميدانية في الجهاد متمثلة بوفده الى جبهات القتال ، اكد على ضرورة مشاركة العراقيين جميعا في الدفاع عن بلادهم ضد المحتلين البريطانيين من خلال عشرات الرسائل والبرقيات التي بعث بها الى الشيوخ والتجار والوجهاء ، والى وكلائه في المدن العراقية . ومن خلال المنشورات التي خاطب بها سكان المدن وابناء العشائر . وكذلك الفتوى التي اوجب فيها (الدفاع عن بيضة الاسلام) .

حيث اعتلى المنبر في الصحن العلوي الشريف في ١٦ كانون الأول ١٩١٤ ، وخطب في الناس والزمهم بالدفاع ، واوجب على الاغنياء المساعدة في تجهيز المتطوعين من الفقراء لتمكينهم من القتال. فكان لخطبته تأثير واسع بين الناس .

ومن جانب اخر كان السيد كاظم اليزدي على اتصال بالادارة العثمانية يخبرها بتحركاته وينسق معها بشان تفعيل التصدي للمحتل البريطاني ، اذ بعث برسالة مطولة الى والي بغداد يخبره باصدار فتوى الجهاد ، وارسال ولده الى جبهات القتال . وطلب في رسالة اخرى من ولده عندما كان في بغداد ، الاتصال بوالي بغداد للتخفيف عن العشائر التي ضايقتها السلطات العثمانية وشددت عليها في تحصيل الضرائب والرسوم، كي يكون هذا حافزا لها للذهاب الى جبهات القتال[١٠].

أما في الكاظمية فقد تزعم حركة الجهاد المرجع الديني الشيخ مهدي الخالصي، وكان اشد الناس حماسا للجهاد ، وقد كتب ذلك في رسالة بعنوان "الحسام البتار في

جهاد الكفار" . ولم يكتف بهذا بل اصدر فتوى اوجب فيها على المسلمين صرف جميع اموالهم في الجهاد حتى تزول غمة البريطانيين، ومن يمتنع عن بذل امواله وجب اخذها منه كرها .

ودعا الخالصي علماء الكاظمية للاجتماع في غرفة الكليدار في الصحن الكاظمي للمداولة في امر الجهاد واصدار الحكم فيه . حيث اجتمع العلماء هناك ، واكدوا على وجوب الجهاد دفاعا عن البلاد الاسلامية ، وكان على رأسهم المرجع الديني السيد مهدي الحيدري الذي كان يعد انذاك كبير علماء الكاظمية.

وارسل السيد مهدي برقيات الى علماء الدين في النجف وكربلاء وسامراء يطلعهم بعزمه على محاربة البريطانيين مهما كلف الامر ، ودعا الى اجتماع في الصحن الكاظمي ، ولما اجتمع الناس اعتلى السيد مهدي المنبر وخطب فيهم يدعوهم للخروج الى الجهاد(١١). وشكل الخالصي مجلسا من علماء الدين في الكاظمية لجمع الاموال والسلاح وتدوين اسماء المتطوعين للقتال . واستمر في هذا العمل لمدة ثلاثة اشهر حتى توفرت لديه اموالا كثيرة واعداد كبيرة من المتطوعين . كما تحرك من الكاظمية الاخ الاكبر للشيخ مهدي الخالصي المرجع الديني الشيخ راضي الخالصي الى بعض نواحي ديالى، فجمع اموالا واعداد من المتطوعين والتحق بأخيه في الاحواز (١٢).

خرج مجاهدي الكاظمية في يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٤ الى ساحات القتال ، وضم وفد الكاظمية كل من الشيخ الخالصي واخيه الشيخ محمد صادق والسيد مهدي الحيدري وثلاثة من اولاده وعدد من علماء الكاظمية والمتطوعين ، وكان عددهم ثلاثمائة على ظهر باخرة اسمها "حميدية" . وكان سيرهم باتجاه القرنة ، ووصل المجاهدين الى مقربة منها بعد ستة ايام .

وبعد سفر هؤلاء المجاهدين وصل الى الكاظمية عدد من علماء النجف وكربلاء كان بينهم الشيخ فتح الله الاصفهاني الملقب بـ"شيخ الشريعة" والسيد علي التبريزي والسيد مصطفى الكاشاني والمرزا مهدي الخراساني والمرزا محمد رضا

الشيرازي والشيخ حسن علي القطيفي وغيرهم . وقد تقرر خروجهم مع مجاهدي بغداد في يوم ٩ كانون الأول ١٩١٤.

توجه مجاهدي بغداد في عصر يوم ٩ كانون الأول ١٩١٤، وعلى رأسهم السيد صادق العطار والسيد عبد الكريم الحيدري الى ساحات القتال في القرنة ، وكان بصحبتهم علماء النجف وكربلاء(١٣).

الجهاد في القرنة .

وصلت الباخرة التي تحمل مجاهدي الكاظمية الى جانب منطقة مزيرعة الذي يقابل القرنة ، واخذ الخالصي والحيدري يحثان المتطوعين على القتال . وقام المتطوعين من الكاظمية باطعام المجاهدين المتواجدين هناك ، غير ان البريطانيين قد تفوقوا عليهم في المزيرعة ، وحاصروا القرنة من جهتين . وفي الليل تحرك الخالصي مع المجاهدين لمقاومة البريطانيين في المزيرعة لتسلم القرنة . وفي الصباح هاجم البريطانيون القرنة من الساحل والنهر بالجنود والبواخر الحربية حتى تمكنوا من محاصرة القرنة ، وانقطعت طرق المواصلات، كما نفذت الذخيرة الحربية لدى المجاهدين . وعزم الخالصي على التحرك الى المزيرعة بمن معه لصد القوات البريطانية من هذه الجهة ، وفي طريقهم وصلت برقية من والي البصرة صبحي بك يخبرهم فيها بدخول القوات البريطانية الى القرنة . وعليه وصلت برقية من القائد العثماني جاويد باشا يطلب فيها من المجاهدين العودة الى العمارة . وكان رأي الخالصي اتخاذ خطة دفاع بين العزير والقرنة . الا ان اليأس قد استولى على جاويد باشا ، فرجع الخالصي الى العمارة وتبعه المجاهدين حتى وصلوا الى هناك(١٤).

عندما وصل الخالصي الى العمارة ، وجد جاويد باشا متهيأ للذهاب الى الكوت، بسبب حالة الخوف التي كانت تخيم على سكان العمارة ، حتى انهم بدءوا بنقل الاشياء الثمينة لديهم الى العشائر المجاورة . فرفض الخالصي الذهاب الى الكوت ونزل في العمارة وهدأ السكان وامر المتطوعين بالتأهب للدفاع عن العمارة، فاطمأن سكانها لذلك .

كما امر الخالصي ابنه محمد ان يبعث برسائل الى رؤساء العشائر يدعوهم فيها للجهاد، ووقع الرسائل هو والسيد مهدي . لذلك اخذت افواج المتطوعين وهم يحملون السلاح تتوافد الى العمارة ، وبلغ عددهم سبعين الف متطوع . وقد اثارت هذه الاستعدادات البريطانيين ، اذ كانت قوتهم غير كافية للمهاجمة ، لذلك اتخذوا خطة دفاع عن القرنة . فقويت معنويات جاويد باشا فتقدم بالقرب من منطقة العزير .

رأى الخالصي ان التدريب العسكري افضل سلاح في هذه الحرب ، لذلك امر المتطوعين ان يتقنوا هذا التدريب ، واستدعى ضباط من الجيش لتدريب المتطوعين ، وتشكلت افواج منهم . وكان الخالصي يخرج بنفسه للتدريب متقدما مجموعة من العلماء وهم يحملون البنادق ، فشكل منهم فوج الكاظمية .

ولم يقتصر دور الخالصي في العمارة على عشائرها ، بل كتب لجميع العشائر في العراق للمشاركة في الجهاد فالتحق به جميع علماء النجف ، وعلماء بغداد بمن معهم من المتطوعين . وتأهبت جميع عشائر العراق للجهاد(١٥).

ارسل الخالصي ايضا رسائل الى رؤساء العشائر في الاحواز ، يطلب منهم الانضمام الى صفوف المتطوعين . فجاءه وفود من تلك المنطقة ملبين دعوته الا انهم طلبوا ارسال عدد من علماء الدين الى هناك لحث العشائر على الجهاد . وقرر الخالصي ان يذهب اليهم بنفسه ، اما على الصعيد العسكري فقد اطلع القائد العثماني سليمان عسكري بك بالامر فاستقر الرأي على ان تحاصر البصرة من ثلاث جهات ، جهة الشعيبة وهي اليمنى ، ومن القرنة وهي الوسطى، ومن ناصريه الاحواز الى التنومة مقابل البصرة من شط العرب وهي الجهة اليمنى . وان يقسم علماء الدين والمتطوعين على هذه الاقسام. فكتب الخالصي الى عشائر الاحواز يخبرهم بعزمه على التحرك اليها ، وارسل ابنه الشيخ محمد لترتيب امور العشائر هناك مع القائد سليمان العسكري . فعاد الشيخ محمد الى العمارة بعد انتهاء مهمته في الاحواز(١٦).

واشتركت اغلب العشائر في الحرب إلى جانب قوات الحكومة بالرغم من أنها لم تقوم بدور حاسم في ميدان القتال بسبب افتقارها الى تدريب عسكري منظم وصعوبة

مواجهتها لقوات نظامية حديثة ، فإن تاثير مشاركتها المعنوي في نفوس البريطانيين كان من الأمور الواضحة، فقد جاء في برقية السيد برسي كوكس[١٧] المستشار السياسي للحملة العسكرية البريطانية إلى نائب الملك في الهند بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ إن جملة منافع الحملة البريطانية من احتلال القرنة ، بالإضافة الى الأسباب السوقية ، التأثير الأدبي في نفوس القبائل العراقية. [١٨]

وقد علق كل من الجنرال نيكسن قائد الحملة البريطانية والسير مونرو القائد العام في الهند بالأهمية على احتلال مدينتي الناصرية والسماوة للسيطرة على عشائر المنتفق والسماوة.[١٩]

معركة الروطة .

كانت القوة الرئيسة للجيش العثماني قد تحشدت في الجبهة الوسطى تجاه القرنة وكان يقودها سليمان عسكري بك نفسه، اما جموع المجاهدين فكانت بقيادة السيد مهدي الحيدري ، وقد اتخذت هاتين القوتين مواقعها حول (الروطة) وهي قناة تقع في الجانب الشرقي من دجلة على بعد خمسة عشر كيلو مترا من شمال القرنة . وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩١٥ بدء القتال في هذه الجبهة واستمر اربع ساعات وكان النصر فيها للقوات العثمانية . وعد الناس الانتصار في هذه المعركة كرامة عظيمة للسيد مهدي ، كما اعتبروا تحقيق هذا الانتصار بفضل بركات وجوده وصموده في قلب المعركة ، وبفضل حكمته العالية، وتدبيره السديد[٢٠].

الجهاد في الاحواز .

كان الشيخ خزعل هو الحاكم المطلق في الاحواز وان كان من الناحية الشكلية تابعا للدولة الايرانية . وحين كانت البصرة مهددة بالاحتلال البريطاني ارسل بعض علماء النجف في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ برقية الى الشيخ خزعل ، طالبين منه المشاركة في محاربة البريطانيين ، وحث جميع العشائر في الاحواز على ذلك . وقد وقع البرقية كل من الشيخ فتح الله الاصفهاني والسيد مصطفى الكاشاني والمرزا مهدي

الخراساني والسيد علي التبريزي والشيخ محمد حسين المهدي . وفي اليوم نفسه ارسل السيد محمد ابن السيد كاظم اليزدي برقية مماثلة الى الشيخ خزعل[٢١]. الا ان الاخير لم يهتم لهاتين البرقيتين ، وكان رايه ان علماء الدين الذين ارسلوها انما فعلوا ذلك بضغط من السلطات العثمانية ، وانه بصفته من رعايا الدولة الايرانية يجب عليه الوقوف على الحياد[٢٢].

كان الشيخ خزعل على علاقة وثيقة باحد علماء النجف وهو الشيخ عبد الكريم الجزائري، اذ كان يعد من مقلديه ومن اشد الناس اخلاصا له وطاعة لامره ، ولهذا كتب الجزائري اليه يأمره بالاشتراك في الحرب الى جانب الدولة العثمانية ، وتجهيز حملة من العشائر لمساعدتها ، الا ان الشيخ خزعل اعتذر عن القيام بذلك . فتألم الجزائري لذلك وسخط على الشيخ خزعل وقطع علاقته معه .

عندما قامت حركة الجهاد كان صداها في الاحواز قويا . وكان السيد عيسى كمال الدين كبير علماء الاحواز في ذلك الوقت ، وهو نجفي من اسرة كمال الدين المعروفة ، وقد استجاب لدعوة الجهاد ، واخذ يشجع العشائر على الجهاد فكان له تأثير كبير فيهم[٢٣].

سار الخالصي ومن معه الى الاحواز فدخلوا الى منطقة البسيتين . وجاء اليها بعد ذلك العديد من علماء الدين وهم الشيخ جعفر نجل الشيخ عبد الحسين ال الشيخ راضي والسيد محمد بن السيد كاظم اليزدي والشيخ عبد الكريم الجزائري . وتقدم الخالصي الى منطقة تدعى (قرية السادة) واخذ من هناك يكتب الى جميع العشائر يأمرهم بالوقوف ضد الانكليز . ثم رحل الى ناصرية الاحواز ونبعه بعض الناس ، ونزل في مكان يسمى (غدير الدعي) وبدأت العشائر تتوافد عليه تدريجياً.

عندما بدأت الحرب في الاحواز كان الخالصي يقاتل مع المتطوعين ويشجعهم على القتال . وقد تمكن المتطوعين من احراز النصر في هذه المعركة وحصلوا على الكثير من الغنائم وتمكنوا من دخول ناصرية الاحواز . وفي هذه الفترة جاء الى الاحواز اخو الشيخ مهدي الخالصي الشيخ راضي الخالصي، وجرى له استقبال عظيم

من قبل الناس هناك . وقد تحرك مع اخيه والمتطوعين من الاحواز وعادوا الى منطقة البطيحة بين العمارة والحويزة ، بعد ان مكثوا في الاحواز لاكثر من اربعة شهور. وصمم الخالصي على تطويق ناصرية الاحواز من الجانبين ومحاصرة البريطانيين فيها ببعض القوات والمسير الى التنومة مقابل البصرة بالبعض الاخر[٢٤].

عين لقيادة القوات العثمانية المحاربة في الاحواز محمد باشا الداغستاني. فكتب له الخالصي عن تفاصيل الوقائع السابقة وخطته التي عزم على تنفيذها لمحاصرة الناصرية ، والمسير الى المحمرة والتنومة . فلما قرأ القائد الخطة اعجب بها ووافق عليها دون تغيير . وعمل الخالصي جاهدا في تنفيذ خطته ، وترتيب اجتياز نهر كارون ومحاصرة الناصرية. واستدعى لذلك رؤساء بعض العشائر مثل ربيعة والاحلاف والباوية ، وبعض رؤساء كعب وغيرهم . فجاءوا اليه وعملوا على اعداد العدة لتنفيذ هذه الخطة ، فاقتربت بعض العشائر من الناصرية لمحاصرتها ، واستعد قسم من المتطوعين لعبور نهر كارون موافقة لتلك العشائر .

وقد وصلت اخبار عن تراجع الجيش العثماني الى الخلف ، فامر الخالصي ابنه محمد بان يطلع محمد باشا على هذه الاخبار . فاسرع محمد لملاقاة القائد فوجده يسير بين الجيش متحيرا ، والجيش ينقل قواته الى الخلف ، واخبره أن القوى المهاجمة قد انهزمت من الشعيبة وقتل سليمان العسكري، وقد تلقيت امرا بالرجوع الى العمارة [٢٥].

كان لعلماء الدين الاخرين دورا مهما في جبهة الاحواز ، فقد ترأسوا جموع المجاهدين في جبهات القتال ، وكان على رأسهم السيد محمد اليزدي والشيخ جعفر الشيخ راضي . وقد اتخذوا من مدينة العمارة قاعدة لانطلاقهم الى هذه الجبهة ، فقد تبادل السيد محمد اليزدي من العمارة البرقيات والرسائل مع اخيه السيد محمود في النجف ، حيث اخبره السيد محمود في رسالة له بعثها جوابا على برقيتين مرسلتين من اخيه في ٢٠ و ٢٢ كانون الثاني ١٩١٥ بتاكيد والده على ان يبذل اقصى جهوده في

توحيد كلمة العشائر والدفاع عن المسلمين وبلاد الاسلام ، والوقوف بداً واحدة بوجه البريطانيين[٢٦].

الجهاد في الشعيبة .

شاركت العشائر العراقية في محاربة البريطانيين خلال الحرب العالمية الأولى وذلك استجابة لها لدعوة علماء الدين لها في التطوع والجهاد بإزاء (الكفار) دفاعاً عن العراق وحماية له. [٢٧]

حيث شاركت في معارك الشعيبة عندما شن العثمانيين هجومهم لاستعادة مدينة البصرة وطرد البريطانيين على ثلاثة محاور هي ، المحور الأيسر الذي تقرر ان تزحف قواته على نهر كارون بهدف احتلال المحمرة في عربستان، والمحور الأوسط عندما تقرر أن تزحف قواته على نهر دجلة نحو القرنة، والمحور الأيمن الذي تقرر ان تزحف قواته على نهر الفرات من جهة الزبير نحو البصرة – وقد وزع القائد العثماني سليمان عسكري بك العشائر على المحاورالثلاثة وجعلهم تحت قيادة بعض الشيوخ وبأمرة عدد من الضباط[٢٨].

ولكن استطاع البريطانيين دحر العثمانيون في الشعيبة واحتلالهم للعمارة والناصرية. وعلى أثر هذه الهزيمة توفي اثنان من أجل علماء الدين هما السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ باقر حيدر. [٢٩]

وارجع السيد محسن الحكيم ، الذي حضر المعركة لانه كان امين سر السيد محمد سعيد الحبوبي ، اسباب الهزيمة التي حلت بالمجاهدين الى خبر اشيع بين المجاهدين بان القائد سليمان عسكري بك قتل هو وضباطه جميعا ، فانتشرت الفوضى في صفوفهم ، وقد ثبت السيد محمد سعيد الحبوبي مع عدد من اصحابه فلم يهربوا مع من هرب ، واستقر رأيهم أخيرا على ان يرسلوا السيد محسن الحكيم الى خيمة القائد سليمان العسكري للتاكد من صحة الخبر ، وتمكن السيد محسن من ان يصل الى خيمة القائد فوجده مكبا على اوراقه، واتضح ان الاشاعة كانت خديعة ادت الى الهزيمة[٣٠].

على الرغم من هزيمة المجاهدين في هذه المعركة ، الا ان مشاركتهم فيها كانت ذات فائدة تاريخية عامة ، حيث ان تأثير هؤلاء المجاهدين على سير المعركة من الناحية العسكرية لم يكن مهما ، ولكن الاهمية تكمن في استجابة العراقيين من اقصى الشمال الى الجنوب لنداء المرجعية بالجهاد المقدس دفاعا عن الوطن ضد المحتلين البريطانيين. فسار علماء الدين من المدن المقدسة على رأس المجاهدين من ابناء العشائر للانضمام الى القوات العسكرية بقيادة سليمان العسكري . وكان عدد المجاهدين خمسين الف مجاهد . ومن علماء الدين الذين اعتمد عليهم سليمان عسكري بك في هذه المعركة السيد عبد الرزاق الحلو والسيد محمد سعيد الحبوبي (الذي تولى قيادة المجاهدين في الجهة اليسرى) والسيد محسن الحكيم والسيد هادي المكوطر[٣١].

بعد هزيمة المجاهدين في الشعيبة ، خشي سليمان عسكري بك من تقدم البريطانيين من جهة الشعيبة سيقطع الطريق على القوات المرابطة في القرنة والاحواز الى بغداد ، لذلك صمم على اتخاذ مواقع دفاعية امام القرنة لسهولة طرق المواصلات فيها وأمر بتشكيل لواء للخيالة من العشائر. وبعد ذلك انسحب المجاهدين في الاحواز الى العمارة . ولما علم الشيخ الخالصي بذلك رفض ، وعد ترك العشائر التي لبت الدعوة للجهاد بمواجهة البريطانيين خيانة عظمى ، وارسل ولده الى سليمان عسكري بك ليخبره بان المجاهدين سيبقون في مكانهم مدافعين . ولكن سليمان اخبره بان الانسحاب هو اصلح للمسلمين واحفظ لبلادهم ، مقدما اسباب مقنعة لذلك تحرك الخالصي هو واخويه الاكبر والاصغر والمجاهدين حتى وصلوا الى العمارة ، ولم يكن له هدف سوى الدفاع عن العراق والانتقام من البريطانيين[٣٢].

وفي العمارة بدء الشيخ مهدي الخالصي يبعث برسائل الى رؤساء العشائر الذين تركوا ساحات القتال سأماً من طول المدة للاستمرار في الجهاد ، فجاءت اجوبتهم ملبين دعوته مطيعين امره . وقد فارقه اخوه الاكبر وطلب منه العودة الى بغداد ، الا ان الخالصي رفض ذلك . اما اخوه الاكبر الشيخ محمد صادق فقد فارقه قبل ذلك وعاد الى بغداد . فتوجه العلماء الذين كانوا معه في الاحواز الى الكوت ولم يدخلوا العمارة وبقي وحده فيها مع ابنه محمد . وقد انشغل باعداد العدة للجهاد وتقوية الجيش المرابط امام القرنة . غير ان البريطانيين اسرعوا بالهجوم على ذلك الجيش فابادوه وسيطروا على العمارة والخالصي فيها . وفر كثير من المجاهدين والجند والعلماء .

وعندما علم الخالصي بذلك امتنع عن الخروج من العمارة ، ولما اراد اصحابه الخروج منها قال " لا حتى يكون سبيلنا سبيل العلماء الذين كانوا مرابطين امام القرنة" . وكان هؤلاء العلماء قد فروا الى الغراف عن طريق الجزيرة دون ان يمروا بالعمارة ولم يعلم بهم الخالصي وهم السيد مهدي الحيدري وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد علي الداماد والسيد مصطفى الكاشاني والسيد عبد الرزاق الحلو واولادهم واصحابهم .

صمم الخالصي على الدفاع عن العمارة ، الا ان البريطانيين اسرعوا في احتلالها واسروا جميع من كان فيها من الجنود ومدراء الدوائر ، واستولوا على كل ما فيها . اما الخالصي فبقي فيها لمدة ثمانية ايام بعد دخول البريطانيين اليها ، وفي اليوم التاسع خرج متنكرا بلباس اخر متوجها الى الكوت . وارسل ولده الى دائرة البرق العسكرية ليقابل القائد العثماني نور الدين ويطلب منه ارسال مدفعين وعدد من الجنود لجمع العشائر للهجوم على العمارة ، الا ان نور الدين طلب منه زيارته في الكوت لمحادثته بامور هامة ، واخبره انه لا يستطيع مغادرة الكوت ولا ساعة واحدة لما فيها من الاعمال الضرورية المهمة[٣٣].

من الجدير بالذكر ان خسارة المجاهدين في معركة الشعيبة عززت مشروع التفاوض مع البريطانيين ، الذي تزعمه السيد محمد اليزدي بالاتفاق مع السيد كاطع العوادي . فقبل اندلاع القتال في الاحواز واستسلام العثمانيين فيها في ١٢ اذار ١٩١٥

بمدة من الزمن رابط السيد محمد اليزدي ومعه عدد من العلماء وطلبة العلوم الدينية ورؤساء العشائر في جبهة الاحواز. واخذ المجاهدون ، لاسيما من كان منهم من عشائر الاحواز ، يتوافدون على هذه الجبهة خلال شهري كانون الثاني وشباط ١٩١٥. ولعل وجود السيد كاطع العوادي والسيد محمد اليزدي معا في هذه الجبهة لمدة طويلة اتاح للسيد كاطع العوادي التعرف على السيد محمد اليزدي ، ومن ثم الاتفاق معه فيما بعد على العمل سوية من اجل التخلص من البريطانيين والعثمانيين عن طريق التفاوض.

ادت خسارة العثمانيين والمجاهدين في جبهة الاحواز ، وانسحابهم الى العمارة، والخسارة الاخرى في الشعيبة ، الى ترك الكثير من المجاهدين ساحات القتال وتوجهوا الى مناطقهم الاصلية ، مما بلور فكرة التفاوض السلمي مع البريطانيين لدى السيد اليزدي والعوادي ، لانهاء الوجود البريطاني والعثماني في العراق وتأسيس حكم وطني فيه ، بعد أن ادركا عدم امكان التوصل الى هذه الغاية عن طريق القتال[٣٤].

نص الاتفاق على تكوين حكومة عراقية وذلك عن طريق مفاوضة البريطانيين والاتفاق معهم على عقد هدنة يتركوا هم والعثمانيون بعدها العراق ويسلموه الى اهله . ووافق السيد اليزدي على هذا المشروع على شرط ان يكون والده السيد كاظم اليزدي ملكا على العراق[٣٥].

وبعد رجوعه الى النجف في وقت متزامن مع احتلال العمارة في ٣ حزيران ١٩١٥، تابع السيد محمد اليزدي هذا المشروع ، فدعا رؤساء عشائر الشامية والمشخاب الى النجف واجتمعوا عند محسن شلاش وتباحثوا في المشروع، ولكنهم اتصلوا بالعثمانيين ، الذين اسرعوا وطلبوا السيد محمد الى الجهاد فذهب الى الكاظمية. وادى هذا الامر الى توتر العلاقة بين السيد محمد والسلطة العثمانية ، وقد حدث هذا التوتر قبيل تحرك السيد محمد اليزدي من النجف في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٥ للمشاركة في حركة الجهاد الثانية[٣٦].

ثانياً : حركة الجهاد الثانية

في الوقت الذي تحرك فيه السيد محمد اليزدي للعمل السياسي السلمي ، كان القتال بين القوات العثمانية والقوات البريطانية مستمرا . فنجحت الاخيرة في احتلال الكوت في ٢٨ ايلول ١٩١٥ ، وتقدمت نحو بغداد واصطدمت في معركة (سلمان باك) مع القوات العثمانية التي اجبرتها هذه المرة على التراجع والانسحاب من ساحة المعركة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٥ نحو الكوت والتحصن بها . وواصلت القوات العثمانية ملاحقتها للقوات البريطانية المتحصنة في الكوت وفرضت عليها حصارا في ٧ كانون الأول ١٩١٥، استمر حتى استسلام هذه القوات للجيش العثماني في ٢٩ نيسان ١٩١٦ .

في الوقت الذي اعد فيه العثمانيين قواتهم للدفاع عن بغداد من موقع سلمان باك ، في تشرين الثاني ١٩١٥ ، وعززها باسلحة ومعدات حربية وبفرق قتالية متميزة، قاومت بعض عشائر ولاية بغداد البريطانيين في مناطق خطوطهم العسكرية[٣٧] ، ففي خط الفرات هاجمت من عشيرة زوبع بريطانيا في صدر قناة الرضوانية واستمرت هجماتهم عدة أيام قبل ان تقوم الفصائل البريطانية بهجوم معاكس ضدهم وقامت مجموعة من عشيرة الدليم باعتراض سبيل آمر إحدى الفصائل البريطانية وقتلته أثناء قيامه بجولة استطلاعية ، فتمكن البريطانيون من القاء القبض على اثنين من أفراد المجموعة والحكم عليهما بالإعدام. [٣٨] وشرعوا في الوقت نفسه بحملة جديدة في اوساط العشائر والمدن العراقية لاسيما النجف الاشرف ، للحث على الجهاد وتجنيد المتطوعين للاستعانة بهم في جبهات القتال كقوة مساعدة للقوات العسكرية العثمانية .

سارعت السلطات العثمانية بالشروع بهذه الحملة لاسباب عدة منها اكتشافها لتحركات من قبل بعض الزعامات الدينية والعشائرية تؤشر ميل تلك الزعامات وانحرافها عن الوقوف تماما بجانب العثمانيين . وكان من بين تلك التحركات ، الاتصالات التي اجراها السيد محمد اليزدي مع الرؤساء العشائر بين لمنطقتي الشامية والمشخاب واجتماعه بهم في النجف[٣٩].

ادركت السلطات العثمانية وقبل ان تشرع بحملتها لحشد جيش من المتطوعين ، ان البداية يجب ان تكون من النجف لاهميتها الدينية وكونها كانت مقرا للمرجعية الدينية الشيعية العليا ولمراجع الدين وعلمائه ذوي التاثير الفاعل في نفوس الناس ، القادر على دفعهم للقتال مساندة للعثمانيين(٤٠).

كان المسؤولون العثمانيين في موقف لا يحسدوا عليه ، لذلك ارتأوا ان تكون دعوة الجهاد في هذه المرة تحت شعار جديد هو (العلم الحيدري الشريف) . فبعد ان كانت حركة الجهاد الأولى ذات صبغة اسلامية عامة ، قررت الحكومة العثمانية ان تجعلها ذات صبغة شيعية وراحت تستخدم شتى الوسائل لبث الدعاية للعلم الحيدري في المناطق الشيعية ، وصار دعاتها يتجولون في تلك المناطق قائلين "انه علم لا يغلبه غالب ، وان صاحبه حيدر الكرار انتصر به في جميع الحروب التي خاضها ضد الكفار، ولابد أن ينتصر العلم الان"(٤١).

وفي نفس الاتجاه ارسلت الحكومة العثمانية وفدا الى النجف في ٢٦ تشرين الأول ١٩١٥ ليبلغ علماء الدين الناس على الجهاد . واجتمع الوفد في اليوم الثاني من وصوله بالسيد كاظم اليزدي في بيته ، وطلبوا منه تأكيد فتواه السابقة بوجوب الجهاد ، فاستجاب لهم وحضر الى الصحن العلوي الشريف . وكان خازن المشهد العلوي قد اخرج من خزانة المشهد قبل حضوره علم تاريخي ثمين كتبت عليه الشهادتان . فجلس السيد كاظم اليزدي على حافة منبر الخطابة ، وبلغ عنه من ارتقى المنبر تأكيده على وجوب الجهاد ولزوم التعاضد وتوحيد كلمة المتطوعين . واكد في اليوم نفسه وفي الايام التالية علماء اخرون على الوحدة الاسلامية وضرورة الجهاد والتصدي لقوات الاحتلال البريطاني . واستغل الخطباء حلول شهر محرم الحرام، فأصبحت مجالس التعزية الحسينية مجالا لالقاء الخطب لحث الناس على الخروج للجهاد دفاعا عن الوطن(٤٢).

تقرر ان يكون يوم ١٩ تشرين الثاني موعد اخراج العلم والرحيل به . واعد في هذا اليوم احتفال كبير في الصحن الشريف ، حضره متصرف كربلاء حمزة بك ، ومفتي النجف السيد ياسين افندي ، بالاضافة الى اعضاء الوفد ، وانضم اليهم علماء

النجف ووجهائها . وامتلاءت ساحة الصحن بالجماهير ، وجاء المتطوعين من محلات النجف الاربعة ، حاملون اسلحتهم يهتفون لنصرة الدين والدولة . وفي اليوم المحدد لاخراج العلم ، تقدم السيد محمد حسن الكليدار في وسط الزحام نحو شباك المرقد المقدس ، فتناول العلم ، وانزله من محله ، ودعا الحاضرين الى الله ان يزلزل البريطانيين ويهزمهم . ثم قرا مفتي النجف دعاءً ، وتلاه الكليدار بدعاءٍ اخر ، ورفع العلم خارجا به من الباب . وحين خرج الى الصحن كانت الساحة والاواوين والسطوح مملوءة بالناس . واخرج العلم من الصحن نحو السوق الكبير وحف به السدنة ، حتى وصل الى باب البلدة حيث هيأت له عربات ، فوضع فيها وصعد من كان معه من العلماء والاعيان[٤٣] .

كان في صحبة العلم من العلماء كل من الشيخ فتح الله الاصفهاني ، السيد علي التبريزي ، السيد مصطفى الكاشاني ، الشيخ باقر القمي ، الشيخ محمد حسين القمشئي ، السيد عبد الرزاق الحلو ، المرزا مهدي بن الملا كاظم الخراساني ، السيد علي بن السيد محمد سعيد الحبوبي ، الشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي ، السيد محمد علي بحر العلوم ، الشيخ محمد جواد الجواهري ، السيد هبة الدين الشهرستاني ، الشيخ عبد الكريم الجزائري ، الشيخ محمد حسين الجعفري ، الشيخ اسحاق الرشتي ، الشيخ عبد الحسين الجواهري ، الشيخ حسن علي القطيفي، وغيرهم . وكان معهم عدد من الطلبة ايضا حيث بلغ عددهم مائة وخمسين . ووصل الى الكوفة السيد محمد بن السيد كاظم اليزدي مع عدد من اصحابه للانضمام الى موكب العلم نيابة عن ابيه[٤٤] .

وخلال المناطق التي مر بها الموكب كان العلماء يخطبون في الناس للحث على الجهاد. وفي عصر يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٥ وصل العلماء الى بغداد فجرى لهم استقبال عظيم جدا ، وسار العلماء يتقدمهم العلم نحو القشلة وسط هتاف الجماهير واهازيجهم . وعند انتهاء الاحتفال توجه العلماء الى الكاظمية ، حيث استقبلوا فيها استقبالا عظيما ، واودع العلم عند مرقد الامامين الجوادين عليهما السلام [٤٥].

في عصر يوم ٣ كانون الأول خرج العلماء من الكاظمية لزيارة الاعظمية بدعوة من علمائها ووجهائها . وفي منتصف الشهر نفسه وصلت انباء مقلقة حول توغل القوات الروسية في ايران وزحفها باتجاه الحدود العراقية ، ووردت برقيات من بعض الايرانيين الى علماء النجف يستغيثون بهم للوقوف الى جانبهم ، للتخلص من الروس(٤٦).

ومكث السيد محمد اليزدي والعلماء واهالي النجف في الكاظمية بانتظار ان تقوم السلطة العثمانية باعداد وسائل سفرهم الى الجبهة التي كانت انذاك في الكوت حيث حوصر فيها الجيش البريطاني . غير ان مكوثهم طال حتى شهر شباط من عام ١٩١٦ . وكانوا خلال تلك المدة يتوقعون المسير الى الجبهة بين يوم واخر . وخلال وجود السيد محمد اليزدي زار في ١ كانون الأول ١٩١٥ مستشفيات الهلال الاحمر في بغداد ، وقدم الهدايا للمرضى الراقدين فيها . وبعث الى اخيه السيد محمود في النجف في ٧ كانون الأول ١٩١٥ برسالة يخبره فيها بانهم بانتظار السفينة التي ستقلهم غدا او بعد غد الى الجبهة .

غير أن السلطات العثمانية سرعان ما تراجعت عن المضي في تنفيذ حملتها التي دعيت بحركة الجهاد الثانية بعد الشروع بها مباشرة ، لعدم حاجتها الى المتطوعين بعد الانتصارات التي حققتها على القوات البريطانية انذاك من جهة، ووصول الامدادات النظامية لها من الاناضول من جهة اخرى. فبعد اربعة ايام من تحرك جموع العلماء والمتطوعين من النجف انسحبت القوات البريطانية جنوبا باتجاه الكوت بعد معارك كبيرة خاضتها مع القوات العثمانية في منطقة سلمان باك جنوبي بغداد. وكانت ترد على تلك الجموع الاخبار ، وهي في طريقها الى بغداد ، عن الانتصارات الكبيرة التي كان يحرزها الجيش العثماني على القوات البريطانية المنسحبة من سلمان باك . ولذلك فقد اهملت السلطة العثمانية امر العلماء والمتطوعين بعد احتفاءها بمقدمهم الى بغداد بصحبة العلم الحيدري احتفاء كبيرا . وعدت كما يبدو حركة الجهاد الثانية دعما معنويا لها فحسب .

ونتيجة لذلك بدء متطوعوا النجف ، دون العلماء ، بالانسحاب من الكاظمية شيئا فشيئا والرجوع الى مدينتهم .

وحاولت السلطة العثمانية ان تجد مخرجا لموضوع العلم والسائرين به الى جبهة القتال بعد أن انتفت حاجتها اليه واليهم . فبعثت لهم في الكاظمية متصرف كربلاء ليفاوضهم في الذهاب الى ايران لتحشيد الايرانيين وحثهم على قتال الروس الذين كانوا يطلبون من الايرانيين الاشتراك معهم في الحرب . لكن هؤلاء لم يستجيبوا للطلب الروس وكتبوا الى علماء العراق يستغيثون بهم من ضغوط الروس(٤٧). ولم يحسم موضوع العلم وحملته الا حسما شكليا بعد تعيين خليل بك واليا على بغداد وقائدا عاما للقوات العثمانية في العراق في ١٢ كانون الثاني ١٩١٦ .

فقد وردت برقية منه وهو في جبهة الكوت الى معاون والي بغداد في اوائل شباط ١٩١٦، يطلب فيها ان ياتي العلماء اليه ومعهم العلم الحيدري لايام معدودة . وتخوف العلماء من دوافع خليل بك واهدافه ، لان نوايا العثمانيين بشان حركتهم قد اختلفت ، وكان وضعهم العسكري جيدا لا يتطلب الاستعانة بهم . فبعد ان اكد خليل بك للعلماء القصد من طلبه هذا ، اطمئن العلماء ورحلوا الى الكوت ، ومنهم السيد محمد اليزدي ، في ١٦ شباط ١٩١٦ حاملين معهم العلم الحيدري . وكان السيد محمد اليزدي عند سفره الى الكاظمية مريضا ، فارسل برقية الى والده في النجف عند وصولهم الى الكوت يطمئنه ويخبره بحسن استقبال القائد خليل بك للعلماء ، ويصف له قوة الجيش العثماني وانتظامه مما يبعث الثقة بالنصر .

ومكث العلماء في الكوت اثني عشر يوما ، استمعوا خلالها الى شرح مفصل قام به خليل بك عن سير المعارك من خلال الخرائط والرسومات ، وقاموا بزيارات ميدانية لبعض القطاعات ومواقع المعارك(٤٨). ويعدها سمح لهم خليل بك بالانصراف ، فغادروا الكوت في اوائل اذار ، فمنهم من عاد الى الكاظمية ، ومنهم من عاد الى الشطرة لمساعدة الشيخ خيون العبيد الذي كان مشغولا بمحاربة البريطانيين هناك ،

وكان على راس العلماء الذين ذهبوا الى الشطرة المرجع الديني الكبير السيد علي التبريزي[٤٩].

وجرى في الكوت لقاء بين السيد كاطع العوادي والسيد محمد اليزدي ، وتحدث العوادي مع السيد محمد بشان استئناف مشروع العمل السياسي من اجل التوصل الى استقلال العراق وتشكيل حكومة وطنية فيه . وامتنع السيد اليزدي عن الاستجابة للسيد كاطع العوادي الذي عرض عليه استئناف العمل بالمشروع الذي تفاوضا عليه سابقا .

كان لموقف اليزدي هذا اسباب متعددة اهمها :

- اعتلال صحته منذ خروجه من الكاظمية ، ويبدو ان مرضه كان شديدا ، وانه ارغم على السفر ، ذلك انه قد توفي في ١٧ اذار ١٩١٦ بعد عودته الى الكاظمية بسبعة عشر يوما .
- معرفة السلطات العثمانية بتحركاته السياسية الرامية الى استقلال العراق ، التي ذكرت سابقا ، مما حد من قدرته على مواصلة مثل تلك التحركات كانت ترصد عادة من قبل السلطات ويضيق على صاحبها .
- ولعل مما جعل السيد اليزدي لا يتجاوب مع السيد كاطع العوادي هو ما كان ظاهرا للعيان من امكانية قيام العثمانيين في ذلك الوقت بدحر القوات البريطانية وطردها من العراق لاسيما بعد انتصارهم على تلك القوات في معركة سلمان باك ومحاصرتهم لها في الكوت لمدة حوالي خمسة اشهر والتي انتهت باستسلام تلك القوات[٥٠].

تعلم المجاهدون والبريطانيون من حركة الجهاد معان واحدة ، وخرجوا بنتيجة واحدة ، فكل منهما عرف خصمه ، وتعرف عليه . ولم يسقط البريطانيين من حسابهم العمل في خط اخر يسعى للترضية والكسب والتسلل الى مواقع المجاهدين ومناطق نفوذهم .

فراح البريطانيون يفكرون في الطرق التي تضمن لهم عدم ظهور اي حركة جهادي اخرى . اما قادة الجهاد فكانوا يفكرون بالطرق التي توصلهم الى صيغة علمية

لحركة ثورية قادمة ضد البريطانيين. حيث عاد علماء الدين الذين قادوا قوات المجاهدين الى مراكزهم الدينية ، بعد ان قطعوا اكثر من (٥٠٠) كيلومتر ، تعرضوا خلالها الى مشكلات صحية بسبب تقدم اعمارهم . فلم يتحدثوا للناس عن اهوال الحرب ، ولم يكتبوا الرسائل في همومهم . فكان ذلك السلوك محرم في عقيدتهم . لانهم كانوا يقاتلوا في سبيل الله ، وليس لاحد ان يمن على الله بشيء[٥١].

أما البريطانيين فقد قرروا المضي في سياسة تقوم على خطين الأول العنف المباشر ، اما الاخر فهو خط الترضية وكسب الاصدقاء ، وكانت هذه السياسة ترمي الوصول الى هدف واحد هو ان لا تظهر دعوة اخرى للجهاد[٥٢] .

بعد احتلال بغداد في ١١ اذار ١٩١٧ ، الذي وصفه السيد مهدي الحيدري بان بمثابة "سقوط الاسلام من السماء الى الارض" ، تضاعف حماس علماء الدين العائدين من الجهاد للعمل الجديد ضد البريطانيين ، الامر الذي شجع رؤساء العشائر على ضرورة مواجهة الاحتلال البريطاني ، بتبني مشروع اسلامي عربي واسع ، لحركة تحرير اسلامية عربية ، تسعى لاقامة حكومات اسلامية من جهة ، ودعم الجهود الرامية الى الوحدة العربية المستقلة عن النفوذ الاجنبي من جهة اخرى.

تعهدت بريطانيا في الأول من تشرين الثاني عام ١٩١٤ بعدم ارسال اية حاميات عسكرية الى المدن المقدسة . غير انها نقضت هذا الوعد في خطتها العسكرية بعد احتلال بغداد ، ففي الاسبوع الأول من عام ١٩١٨ ارسلت حاميات عسكرية الى الكوفة ، واخذت القوات البريطانية مواقعها في المدينة ، وبدأت دوريات عسكرية بالتجول حول سور النجف ، فاطلقت عليها النار حالا وقتل اثنان من افرادها .

أن هذا الحادث يعيد للاذهان مرة اخرى فكرة المواجهة بين الشيعة والبريطانيين ويعطي انطباعا عاجلا – ربما شخص من قبل العسكريين البريطانيين – بان السهولة التي دخلت بها قواتهم الى بغداد سوف لا تتكرر مع مدينة النجف[٥٣].

لقد بدأت مرحلة جديدة من النضال السياسي للتفاوض مع محتل منتصر بعد ان ولت ايام المحتل المنهزم . وقد كان هذا المحتل هو أدهى واقوى من سابقه ، مما

تطلب عملا سياسيا ممنهجاً لاخراجه من العراق ، لاعادة العراق مستقلا الى اهله . فشرع علماء الدين بالعمل السياسي الذي يحقق هذا الهدف بالطرق السليمة ، او التحول عنه ، لنيل حقوقهم ، الى "التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع البريطانيين عن قبول مطالبهم" على حد تعبير فتوى المرجع الاعلى الشيخ محمد تقي الحائري(٥٤).

وبدء علماء الدين ورؤساء العشائر بمواجهة الوجود البريطاني في النجف وباقي مدن العراق ، بتاسيس تنظيم حزبي ، هدفهم منه وضع تنظيم ثوري شامل له فروع في المدن والقرى والبوادي العراقية . وله فروع ايضا في البلاد العربية والاسلامية . ووضع هذا المشروع علماء دين منهم الشيخ عبد الكريم الجزائري ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والسيد محمد علي بحر العلوم ، والشيخ محمد علي الدمشقي . وقد اسسوا لتنفيذه تنظيما حزبيا، واقاموا له هيكلا ونظاما داخليا ، وهو حزب النهضة الاسلامي . وكانت الاحزاب تسمى على الاغلب جمعيات ، فغلبت عليها هذه التسمية واصبح معروفا باسم جمعية النهضة الاسلامية .

انضم الى الجمعية معظم رؤساء النجف وزعمائها المحليين وبعض رؤساء العشائر ، وانضم اليها الكسبة والفقراء(٥٥). كما انضم اليها زعماء عشائر الفرات الاوسط ، منهم السيد كاطع العوادي ، وعبد الواحد الحاج سكر ، وعلوان الياسري، وشعلان ابو الجون ، وغثيث الحرجان(٥٦).

وتشكلت هيأتها الادارية من :

السيد محمد علي بحر العلوم	رئيسا .
الشيخ محمد جواد الجزائري	عضواً .
الشيخ محمد علي الدمشقي	عضواً .
الشيخ عباس الخليلي	سكرتيراً عاماً .

وجميع هؤلاء علماء دين كبار، سوى عباس الخليلي الذي كان يلقب بفتى الاسلام. واعتمد التشكيل على جناحين للجمعية سياسي فكري اعلامي، ينهض به العلماء والمثقفون والشعراء. وعسكري يعتمد الكفاح المسلح. ولم يكن الجناحان

متكافئين. اذ ان القادة العلماء يشكلون جناحه السياسي. وكانت قاعدته الشعبية تشكل جناحه العسكري المسلح ، والتي تضم الزعماء الشعبيون من قادة المحلات .

وخاض هؤلاء اول تجربة حزبية مبكرة في الكفاح المسلح في العراق . وقادوا ثورة النجف في ١٩ اذار ١٩١٨ حيث شارك فيها شيوخ العشائر في الفرات وبالتعاون مع عدد من اهالي النجف، وتوجهت اطلاقة الثورة الأولى الى راس الحاكم السياسي البريطاني الكابتن مارشال واردته قتيلا ، كما جرح احد مساعديه في هجوم خططه ونفذه الجناح العسكري. (٥٧)

وكانت الخطة تستهدف قتل جميع الحكام السياسيين البريطانيين في المنطقة المجاورة. واستمرت الثورة خمسة واربعين يوما . واشترك فيها من الجانب العراقي اكثر من عشرة الاف مسلح . وعن الجانب البريطاني اشترك في القتال وفي حصار النجف اثناء الثورة اكثر من ثمانية الاف جندي . وانتهت باعدام قادة الجناح العسكري ، ونجاة سكرتير الجمعية الذي حكم بالاعدام واستطاع الهروب من المعتقل . ونفي تسعون عضوا من اعضائها ، منهم تسعة مدى الحياة الى الهند. وقد قضوا بالفعل سبع سنوات هناك في المنفى.(٥٨)

وحكم على الشيخ محمد جواد الجزائري بالاعدام وهو اول عالم ديني يصدر عليه حكم بالاعدام عام ١٩١٨ من قبل محكمة عسكرية بريطانية عقدت في سجن بمنطقة ام العظام في بغداد . وقد استبدل الحكم بالنفي الى الهند . غير ان الشيخ خزعل امير المحمرة قد تدخل لدى البريطانيين ، لابقائه منفيا في الاحواز ، مع قائد ثورة النجف الاخر السيد محمد علي بحر العلوم الذي كان قد حكم ايضا بالاعدام ، ودخل السجن مع الشيخ الجزائري . وكان متوقعا لجمعية النهضة ، ان تقود الثورة الشاملة بالاتفاق مع عشائر الفرات الاوسط، الا ان الجناح العسكري قد تسرع في اعلان الثورة(٥٩).

وقد ادانت الجمعية السياسة الاستعمارية البريطانية التي بدأت تفصح عن نفسها بجلاء بعد استكمال القوات البريطانية احتلال العراق اواخر عام ١٩١٨ ، مما

دعا الجمعية في نطاق اهدافها، الى ان تسعى لتحرير العراق من الاحتلال البريطاني وتاليف حكومة مستقلة فيه ، وكان لنشاطاتها هذه دور مهم في التحضير لقيام ثورة العشرين[٦٠].

ومما تجدر الإشارة اليه ان استمرار ولاء الشيوخ والعشائر للحكومة العثمانية لا يعود لأسباب دينية ووطنية فحسب ، وإنما لأسباب أخرى ، منها الخوف من الاجراءات التي قد يتخذها العثمانيون في حالة عودتهم ضد كل من يتعامل مع البريطانيين[٦١]. وتأثير الدعاية العثمانية والدعاية العثمانية – الألمانية التي كانت تصرح بان العثمانيين سوف يعودون للعراق ، وان العراق سوف يسلم من جديد إلى العثمانيين لقاء تحرير بلجيكا من رقبة الألمان ، وتحريض الضباط العهديين العراقيين بالثورة ضد البريطانيين.[٦٢]

الخاتمة

سجلت المرجعية الدينية والعشائر في العراق موقفا متميزا عن الاحتلال البريطاني، فقد اعلنت رفضها لهذا الاحتلال منذ الايام الأولى لنزول القوات البريطانية في الفاو . وتمثل موقف المرجعية الرافض للاحتلال باعلان الجهاد ، والذي كان ترجمة عملية لرسائل المراجع العظام الفقهية في الجهاد ، منطلقة من قاعدة شرعية ان المسلم لا يحكمه غير المسلم . وقد جمع العلماء في موقفهم بين جهاد الكلمة والسلاح ، ففي الوقت الذي دعا فيه العلماء الناس للجهاد من خلال خطبهم على المنابر وفي المساجد ، فانهم ترأسوا جموع المتطوعين في جبهات القتال.

فقد لبت العشائر العراقية فتوى الجهاد (المقدس) وأن هذا الولاء يعود في معظمه إلى تأثير العامل الديني في نفوس أفرادها ، وانها في نهاية الحرب المذكورة خضعت لحكم أجنبي محتل ذي طبيعة حضارية ودينية متميزة.

وعلى الرغم من فشل العلماء والعشائر من تحقيق الاهداف المتوخاة من حركتي الجهاد الأولى والثانية ، والمتمثلة باخراج المحتل البريطاني وتحقيق استقلال

العراق ، فانهم سجلوا بموقفهم هذا تعبيرا واضحا للرفض القاطع للوجود البريطاني في العراق .

وظل علماء الدين بعد احتلال بغداد يتحينون الفرص لاعلان حركة جهاد جديدة للانقضاض على السلطة البريطانية وانهاء وجودها في البلاد ، فوضع العلماء اسس النظام الحزبي الثوري المنظم من خلال تاسيس جمعية النهضة الاسلامية السرية ، والتي مثلت انموذجا للوحدة بين المرجعية الدينية والجماهير ، والتي قادت اول ثورة ضد المحتل البريطاني وهي ثورة النجف عام ١٩١٨ ، والتي شكلت الخطوة الأولى لنضال المرجعية الدينية والعراقيين جميعا في ثورة اعظم هي الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ .

وعليه لا يمكن انكار دور المرجعية في النجف الاشرف في دعم الحركة الجهادية في العراق فبالرغم من دورها العسكري المحدود الا انها مارست دوراً فعالاً في اثارة الراي العام العراقي للوقوف بوجهة المحتل البريطاني.

- اظهرت المرجعية برجالاتها الاشداء زعامات دينية استطاعت ان ترسم خطوط واضحة لامكانية انهاض الجماهير لمواجهة الغزاة .
- اعطى دور المرجعية في مقاومة المحتل درساً للعثمانيين غزاة الامس والبريطانيين من بعدهم بان الوحدة الوطنية درس يورث لدى الجماهير ولا يكتب في ظل شرعية المرجعية.

هوامش البحث ومصادره :

(١) شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨ ، ط٨ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص١٦-١٧.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٤ ، مطبعة الشعب ، بغداد، ١٩٧٤، ص١٢٧.

(٣) عبد الشهيد الياسري ، البطولة في ثورة العشرين ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٦٦ ، ص٦٩ .

(٤) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٢٨ .

(٥) عبد العزيز القصاب ، من ذكرياتي ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص١٠٨-١١٢ .

(٦) وادي العطية ، تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً ، النجف ، ١٩٥٤ ، ص٤٤٨.

(٧) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٣٨ .

(٨) محمد أمين العمري، تاريخ حرب العراق ، ج١ ، المطبعة العربية ، بغداد ، ١٩٣٥ ، ص٣٧٤.

(٩) جميل موسى النجار ، السيد كاطع العوادي ودوره الوطني في الحياة السياسية العراقية ١٩٠٨-١٩٤٥ ، ط١، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص٦٩-٧٠ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص٧٠-٧١ .

(١١) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٣٠-١٣١ .

(١٢) محمد بن محمد مهدي الخالصي ، بطل الاسلام الشهيد الامام الشيخ محمد مهدي الخالصي، ط١ ، طهران، ٢٠٠٧ ، ص١٠٥-١٠٦ .

(١٣) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٣٣-١٣٤ .

(١٤) محمد بن محمد مهدي الخالصي ، المصدر السابق ، ص١١٠-١١١ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص١١١-١١٣ .

(١٦) المصدر نفسه، ص١١٥-١١٦ .

(١٧) وهو رئيس الحكام السياسيين البريطانيين في العراق، وقد أصبح بعد سقوط بغداد يسمى بـ (الحاكم الملكي العام).

(١٨) آرنولد ولسن ، بلاد ما بين النهرين بين ولائين ، ترجمة: فؤاد جميل ، بغداد ، ١٩٧١، ص١٠٦ و ٣٦٦.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٣٦-١٣٩ .

([٢١]) المصدر نفسه ، ص١٤٠.

([٢٢]) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٧.

([٢٣]) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٤١-١٤٢ .

([٢٤]) للتفاصيل عن سير الوقائع في الاحواز ينظر : محمد بن محمد مهدي الخالصي ، المصدر السابق ، ص١١٨-١٢٣ .

([٢٥]) المصدر نفسه، ص١٢٤-١٢٦ .

([٢٦]) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص٧٥-٧٦ .

([٢٧]) لم تكن مشاركة العشائر في الدفاع عن العراق أمراً جديداً فقد شاركت جيوش العثمانيين ضد غزوات الفرس والوهابيين وفي حروب إيطاليا والبلقان (١٩١١-١٩١٢) عندما أعرب عدد من شيوخ العشائر تطوعهم وأفراد عشائرهم للقتال إلى جانب الحكومة.

([٢٨]) عبدالجليل الطاهر، العشائر العراقية، ج١ ، مطابع دار لبنان، بيروت، ١٩٧٢ ، ص٨٦.

([٢٩]) عبدالقادر باش اعيان ، البصرة في ادوارها التاريخية ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص٨٠.

([٣٠]) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٤٧-١٤٨ .

([٣١]) شكري محمود نديم ، المصدر السابق ، ص٢٩-٣٠ .

([٣٢]) محمد بن محمد مهدي ، المصدر السابق ، ص١٢٦-١٢٩ .

([٣٣]) المصدر نفسه ، ص١٢٩-١٣٥ .

([٣٤]) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص٧٦-٧٩.

([٣٥]) المصدر نفسه ، ص٧٩.

([٣٦]) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٢١٢ .

([٣٧]) كانت خطوط البريطانيين العسكرية بعد احتلالهم لبغداد ثلاثة ، الخط الأول ويمتد من بغداد إلى بعقوبة على نهر ديالى ، والخط الثاني من بغداد الى سامراء على نهر دجلة، والخط الثالث ويقع غرب بغداد على نهر الفرات فيما بين الفلوجة وسدة الهندية. ينظر: برسي كوكس وهنري دوبس ، صفحة من تاريخ العراق الحديث ١٩١٤-١٩٢٦ ، تعريب بشير فوجو، الموصل، ١٩٥١ ، ص٢٥.

([٣٨]) المصدر نفسه.

([٣٩]) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص٨٠-٨١ .

([٤٠]) المصدر نفسه ، ص٨٤ .

([٤١]) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٢٣٣.

([٤٢]) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

([٤٣]) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦-٢٣٨.

([٤٤]) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩-٢٤٠.

([٤٥]) المصدر نفسه ، ص٢٤٠-٢٤١.

([٤٦]) المصدر نفسه ، ص٢٤٢.

([٤٧]) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص٨٥-٨٦ .

([٤٨]) المصدر نفسه، ص٨٧-٨٨ .

([٤٩]) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٢٤٢-٢٤٣ .

([٥٠]) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص٨٩-٩٠ .

([٥١]) المصدر نفسه ، ص٩٠.

([٥٢]) المصدر نفسه ، ص٨٧-٨٨.

([٥٣]) المصدر نفسه ، ص٨٨.

([٥٤]) حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، ط١، مطبعة قلم، قم، د.ت، ص٨٦.

([٥٥]) جميل موسى ، المصدر السابق ، ص ٩٠-٩١.

([٥٦]) حسن العلوي ، المصدر السابق ، ص٩٥.

([٥٧]) ستار جبار الجابري ، سعد صالح ودوره السياسي في العراق ، مطبعة المشرق، بغداد، ١٩٩٧، ص٥٢.

([٥٨]) المس بيل ، المصدر السابق ، ص١٢٥.

([٥٩]) المصدر نفسه .

([٦٠]) حسن العلوي ، المصدر السابق ، ص٩٦-٩٧.

([٦١]) بعد انتصار االعثمانيين في الكوت وعودتهم اليها اعدموا عدداً من اهالي الكوت لتعاونهم مع سلطات الاحتلال البريطاني ، ينظر: المس بيل ، المصدر السابق ، ص١٠٩.

([٦٢]) تجلى ذلك في ديالى ومع عشائر العزة والعبيد. ينظر: تحسين العسكري ، مذكراتي عن الثورة العربية ، ج١، النجف ، ١٩٣٨، ص١٦٥.